مذكرات الأسير النرويجي نيلز موس Niels Moss في مدينة الجزائر 1769–1772 (الجزء 3)

ترجمة وتعليق الدكتور لخضر بوطبة

Diary of Norwegian slave Niels Moss in Algiers 1769-1772 (Part 3)

Translation and comment of Dr. Lakhdar Boutouba

د/ لخضر بوطبة

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف02، boutebalakhdar@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/04/09 تاريخ القبول: 2023/06/01 تاريخ النشر: 2023/06/30

الملخص:

في هذا الجزء من المذكرات تطرق المؤلف إلى عدة موضوعات متنوعة، أين قدم لنا معلومات وأخبار كان شاهدا عليها، بحكم كونه كان أسيرا في مدينة الجزائر، أين قدم لنا وصفا دقيقا لهذه المدينة، فتحدث عن منازلها، مساجدها، شوارعها ونوافير المياه... إلخ، تحدث عن سكانها فوصف لنا ملابسهم، وعاداتهم، وشعائرهم الدينية، ورسم لنا صورة واضحة عن السجون التي كان يقيم فيها الأسرى المسيحيون وحالتهم البائسة. ولم ينس أن يجمع أسماء بعض الطيور والحيوانات التي كانت تعيش هناك. وفي الأخير تحدث باختصار عن المرابطين وتحدث أيضا عن الحراس الشخصيين للداي، وعن عاداتهم وتقاليدهم.

كلمات مفتاحية: السجون؛ الجزائر؛ الطيور؛ العبادة؛ الداي.

Abstract:

In this part of the diary, the author deals with varios topics, where he provides information and news that he witnessed according to his status as a captive in Algiers, so he gave us a precise description of this city, and the surounding regions. He tolks about: houses, mosques, streets, water fountains... Etc., he tels as something about population in this city, their clothings, religiou rites, cerimonal rituals. He ellustrate a clear image of the prisons where Christian slaves lived, their miserable situation. He did not forget to list certain animals and birds lived there. And at the end he provides a brief description about the religions elders (mrabtines), and the body gard of the Dey whithe their rituals and customs.

Keywords: Prisons; Algiers; Birds; Worship; Dey.

* **المؤلف المرسل**: لخضر بوطبة، **الإيميل**: boutebalakhdar@yahoo.fr

1. مقدمة:

لقد سبق أن نشرنا الجزئين الأول والثاني من ترجمة هذا الكتاب، في هذه المجلة الغراء، حيث صدر الجزء الأول في العدد 06، المجلد 02، في ديسمبر 2020، والجزء الثاني صدر في العدد 08، المجلد 02، في ديسمبر 2022، وبقي الجزء الثالث والأخير، الذي نقدمه في هذا العدد للقراء، وهو جزء من مذكرات الأسير النرويجي البحار نيلز موس الذي وقع في الأسر على يد القراصنة الجزائريين في شهر أكتوبر 1769 إلى شهر فيفري 1772، حيث تم إطلاق سراحه بعد توقيع معاهدة سلم بين الجزائر والمملكة الدانماركية-النرويجية. وتعتبر هذه المذكرات وثيقة مصدرية ثمينة، تحتوي على معلومات وأخبار ذات قيمة كبيرة، ويعتبر في اعتقادنا أول مصدر نرويجي يتناول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، كما تعتبر هذه الترجمة الأولى للمذكرات إلى اللغة العربية، التي أتمنى أن تنال إعجاب القراء وتثري المكتبة التاريخية الجزائرية.

2. الحمامات (أو السجون):

يوجد في مدينة الجزائر ثلاثة حمامات تضم 200 أو 300 أسيرا، ويحتوي كل حمام على كنيسة صغيرة، ويوجد في المدينة دير مع كنيسة جميلة، يشرف عليها الأسقف الإسباني فيكاري (Vicari)، كما يوجد كذلك أسقفان إسبانيان آخران. وفي أيام الأحد والأعياد يقوم الأساقفة الثلاثة بالاحتفال بالقداس في كنيسة الدير عند المساء عندما يكون الأسرى في راحة، وفي الصباح داخل الكنيسة المتواجدة في الحمامات قبل أن يتوجهوا إلى أعمالهم. وكان هؤلاء الأساقفة في أغلب الأحيان ينامون في كنائس هذه الحمامات ليلة السبت والأحد. وكان يُسمح للمسيحيين بالذهاب كل مساء إلى الكنيسة، أو الدير، أو المستشفى لأداء الصلوات، وكان بإمكانهم المكوث حتى وقت العودة إلى الحمامات، أو كان عليهم الصلاة في كنيسة الحمامات، لكن القداس يكون على الطريقة الكاثوليكية.

وعلاوة على ما سبق ذكره، يوجد في الحمامات وفي الدير كذلك، ثلاثة أو أربعة أساقفة برتغاليين، ذلك لأن الأسرى الإسبان تم تحريرهم؛ أما الأسرى البرتغاليون فلم تَجْر عمليات تحريرهم منذ 18 سنة، كما مات منهم عدد كبير، وهلك بعضهم بالطاعون الذي ضرب مدينة الجزائر في آخر مرة، فالناجون منهم، والذين التحقوا بالأسر فيما بعد، ينتظرون تسوية وضعيتهم منذ سنتين، وفي الوقت الذي تم فيه تحريرنا لا

يزالون يقبعون في الأسر، وبعضهم تمكنوا من التخلص من الأسر، ويتعلق الأمر بأولئك المنحدرين من الأسر الميسورة، أو الذين قام أسيادهم بتسهيل التفاوض بشأن دفع ثمن فديتهم.[1]

وفيما يتعلق بالحكومة الجزائرية، فلا يوجد بها حكم وراثي[2]. لكن الخزناجي والآغا هما المرشحان الأولان لخلافة الداي، لكن مبدئيا كل تركي بإمكانه تقلد هذا المنصب، سواء عن طريق التداول، أو عن طريق القوة. وإذا حدث أن تقلد أحدهم هذا المنصب عن طريق استخدام القوة، فلابد عليه أن يكون مدعما بمجموعة من الرجال. وكذلك إذا قام شخص باغتيال الداي، فإنه على الآخرين أن يغتالوا ضباطه، وعليه فالذي يغتال الداي هو من يحل محله، والآخرون يتقلدون مناصب الضباط الذين اغتالوهم كذلك.

منذ فترة قصيرة قام أحد الأتراك بمهاجمة الداي، لكن عمامته وقبعته أنقذته من الموت، فلم يُصب بأذى، ولقي الفاعل جزاءه في عين المكان، حيث قطع إربا إربا. لقد وقعت هذه الحادثة أثناء تلقي الأتراك رواتبهم، التي تكون حسب العادة أربع مرات في السنة، ومنذئذ أصبح الجنود يخضعون لتفتيش ومساءلة صارمة قبل السماح لهم بالدخول إلى قصر الداي.

وقد قيل لي أنه حدث مرة، تم في يوم واحد تعيين سبعة دايات[3]، وبعد مقتلهم بنيت دار باستخدام الحجارة على قبورهم، عند باب الوادي لتخليد ذكراهم.

ويقال إن الداي الحالي كان يشتغل إسكافيا، قبل أن يأتي من المشرق إلى مدينة الجزائر، وأخبرني بعض الأسرى أنه في البداية كان يشتغل في حرفة تغيير أسفل الأحذية، ثم تحول إلى بائع للقهوة الساخنة في إبريق كان يستعمل موقدا لتسخينها، وقبل أن يصبح الداي، كان قد دخل القصر، وشغل منصب الخزناجي، ثم اعتلى كرسي الداي فيما بعد.

وقد جرت العادة أن يبعث السلطان كل عام أو عامين، سفينة أو سفينتين تحملان الجنود الأتراك إلى مدينة الجزائر، حيث كان يتم انتقاؤهم في بداية الأمر[4]، لكن مع مرور الوقت أصبحوا يَعدُونهم بتقلد مناصب مهمة، وبمكانة لائقة في الجزائر، وقد أصبح بعضهم أسيادا وحكاما، وكان الحكم حكرا على فئة الأتراك، بينما كان السكان الأصليين مبعدين عن مشاركة الأتراك في السلطة.

قبل بضعة قرون قام الأتراك بغزو قلعة الجزيرة المتواجدة في الميناء أسفل مدينة الجزائر،[5] بعد ذلك قاموا بربط هذه الجزيرة بالمدينة التي كانت تحت حكم الجنويين[6]، ثم تمكنوا من الاستيلاء على المدينة نفسها، وقام السلطان العثماني[7] بتكليفهم بممارسة نشاط القرصنة في البحر المتوسط. وعلى أية حال كان قدومهم إلى

مدينة الجزائر كأصدقاء، ولعبوا الدور الهام في هذه الأحداث، فاستولوا على القلعة المذكورة باستعمال الحيلة، وفي نفس الوقت انخرطت السفينتان اللتان كانتا بحوزتهم في نشاط القرصنة البحرية.

ثم تمكنت حكومتهم انطلاقا من مدينة الجزائر، من إخضاع باقي البلاد فيما بعد، وقبل ست عشرة أو ثمانية عشرة سنة قامت الحكومة الجزائرية، بإخضاع تونس، وفرضت عليها الضريبة السنوية التي ما تزال تدفعها إلى الوقت الحاضر.[8] وبهذه المناسبة قاموا بالاستيلاء على 400 أو 500 أسيرا من تونس، وهم من نابلي، ومن دول أخرى، ولكن أغلبهم جاؤوا من جزيرة طبرقة التي تقع على حدود ساحل بلاد بربريا، حيث قام التونسيون بالاستيلاء عليهم من الإسبان منذ فترة متقدمة. هؤلاء الأسرى تم اقتيادهم من تونس إلى مدينة الجزائر وهم مكبلون بالقيود، وكانوا من الرجال والنساء، لكن أغلبيتهم تم تحريرهم بعد المفاوضات الأخيرة مع الإسبان.

وعلاوة على الداي، يوجد في الجزائر ثلاث بايات أو ولاة، كانت سلطة كل منهم في منطقته بمثابة داي صغير؛ ويقوم البايات المذكورون أعلاه بتقديم الضرائب للداي المقيم هنا في مدينة الجزائر مرة كل ثلاث سنوات[9]، ويكونون مصحوبين بمائتين أو ثلاثمائة رجل تركي ومغاربي.وتتراوح الأموال التي يحملونها إلى الداي بين حمولة 30 و50 بغلا من النقود. وعلاوة على ذلك كان يقوم البايات بتقديم الهدايا للداي، ولرجال مجلس الديوان، وكذا إلى الخدم المسيحيين الذين كانوا يسهرون على خدمة كبار رجال الحكم، والذين كانوا يطلق عليهم الموكياكيو (Mokiækio).

وكان باي قسنطينة التي تقع على بعد حوالي 450 كلم جنوب مدينة الجزائر، يعتبر من أهم البايات، ثم يليه باي معسكر الواقعة جنوب غرب المدينة السابقة[10]، وكان هذا الباي دائما في حالة حرب مع عرب المنطقة الذين كانوا مدعومين بالإسبان المتواجدين في وهران[11]، كما كان كذلك في حالة حرب مع باقي الإسبان في المنطقة.وثالث البايات، هو باي التيطري، الذي كان في حرب مع عرب المنطقة مدعما بجيش الدولة بسبب امتناعهم عن دفع الضريبة لحكومة الجزائر.

بالإضافة إلى البايات الذين سبق الحديث عنهم، كان خلفاء البايات يقدمون الضريبة إلى حكومة الجزائر كل سنة، وكانوا يقومون بجباية الضرائب، فهم يشبهون جباة الضرائب عندنا، وكانوا معروفين بالقسوة والشدة مع السكان، فكانوا يصادرون منهم ممتلكاتهم في حالة رفضهم دفع ما عليهم من مستحقات ضريبية. (موس، 2019، 95)

3. وصف البلاد:

يحيط بمدينة الجزائر جبال صخرية، ونظرا لارتفاعها الكبير فإن قممها تحتفظ بكميات الثلج حتى فصل الصيف، ومع ذلك فالحرارة شديدة في هذا البلد الخصب، الذي ينتج العديد من الغلاة الزراعية: العنب واللوز والتمور والتين والرمان والبطيخ الأحمر والليمون والبرتقال... إلخ.

ولا توجد غابات كثيرة في ضواحي مدينة الجزائر، ولكنها تتوفر على نوع من الأشجار صالحة لصناعة السفن، وكان الأسرى المسيحيون هم من يقطع هذه الأشجار باستخدام الفأس ويحملونها على الأكتاف. كما أن المغاربة كذلك يجلبون الأخشاب من المناطق الداخلية عن طريق البحر،12 وتوجد في هذه البلاد العديد من الأشجار النافعة كما توجد الأشجار عديمة المنفعة.(موس، 2019، 100)

4. الحيوانات والطيور:

تعيش في هذه البلاد أعداد لا متناهية من الحيوانات والطيور، ومن جملة هذه الحيوانات الأسود والنمور، والخنازير والقردة، وهلم جرا. كما توجد الحيوانات النافعة كالحمير والخيول والجمال[13]: حيث تحمل الجمال أحمال كثيرة إلى مدينة الجزائر، ونظرا لارتفاع الجمل الكبير بالنسبة لرفع الأحمال أو إنزالها من على ظهره كانوا يضربونه بالعصا على أنفه فيبرك على الأرض، فيقومون بوضع الحمولة على ظهره، ولما يريدون إنزالها يفعلون الأمر ذاته فيبرك على الأرض، وكان أكثر من مائة بعير يأتون إلى المدينة كل يوم.

وأما بالنسبة للطيور التي تعيش في هذه البلاد، فإن هناك من الطيور المألوفة عندنا، وهناك طيور لا نعرفها، ومن ذلك طائر ضخم يسمى النعامة، وهو أكبر من أصغر إنسان، وحجمه بحجم الشاة، وما يلفت الانتباه هو طول ساقيه وبيضته العملاقة، إلى درجة لا يخيل للمرء أنها بيضة طائر، ونظرا لحجمه الكبير فإنه لا يحسن الطيران، وبسبب وزنه الثقيل فإنه يجد صعوبة في التحليق عاليا. (موس، 2019، 100)

5. السكان:

يعيش في هذه البلاد السكان الأتراك والمور(المغاربة)، والفئة الأولى هم الأسياد والحكام، وهم على العموم لطفاء إلا عندما يكونون في حالة تستوجب القسوة والصرامة. وأما الفئة الثانية فهم متسوّلون، وخدم للفئة الأولى (لكنهم يتمتعون بنوع من الحرية)، ولون بشرتهم بيضاء وسوداء داكنة، ومظهرهم قبيح.

ويتوجب علينا القول أن الأتراك يتصفون بالصدق والإخلاص، لكنهم يكونون أكثر قساوة وحقدا على أعدائهم، ولا يتورعون عن الانتقام من كل من يعارضهم. وعلى العكس من الأتراك فإن السكان المغاربة يتصفون بالخداع والكذب وهم حقودون. (موس، 2019، 101)

6. اللباس:

لا تختلف ألبسة السكان عن الألبسة التي كان الداي ورجال الديوان يرتدونها، ما عدا في كون ألبسة هؤلاء عادة تُخاط بخيوط مذهبة وتزين بالذهب أو الفضة، وكانوا يلبسون ملابس قصيرة تصل حتى الحزام فقط، اثنان أو ثلاث أقمصة، مع سروال يحكمونه عند الخصر بواسطة حبل وهو عريض، ولا يلبسون الجوارب في العادة، باستثناء الحراس الذين كانوا يتجولون في الميناء في موسم البرودة، أو الحراس الذين يبقون جالسين أمام البوابات، أو أماكن أخرى لوقت طويل، كما كانوا ينتعلون البابوش[14] المستقيم والمزخرف من الجانبين.

ويقوم كل الرجال بحلق رؤوسهم، ويضعون عليها قلنسوة حمراء علاوة على شاشية مصنوعة من القطن الرقيق أو الحرير، مزينة بالذهب أو الفضة من الجانبين، وكان الكثير من الرجال يحلقون أذقانهم، وبعضهم يعفون اللحي، أما المتزوجون فكانوا يحلقون وجوههم كل يوم، ولكنهم عندما يصل بهم العمر إلى سن معينة يعفون اللحي. ولا يحلق الأتراك، ولا المغاربة شواربهم، ويعتنون بها جيدا، وقد يمتد طول شارب بعضهم إلى الأذنين، لأنهم يعتقدون أنها كلما ازداد طولها كانت جميلة، وهم يرتدون قميص من الصوف ويضعون حزاما أحمر اللون أو مزركشا، محيكا بخيوط مذهبة، أو بلون فضي. وقد جُعل هذا الحزام خصيصا لحمل الخنجر عند الخصر، مع سكينين، أحدهما صغير، والآخر كبير، وكان يصل طول السكين عادة إلى نصف ذراع أو ثلاثة أرباع الذراع. (موس، 2019، 102)

7. النساء:

إن جمال أطفال النسوة هنا، يسمح لنا بالحكم على جمالهن، إذ لا يُسمح برؤية وجوههن، لأنهن تضعن النقاب، وترتدين الحايك كلباس خارجي، وترتدين السروال الذي يمتد حتى الحذاء، والأيدي مصبوغة بألوان جميلة. وتصبغ النسوة شعر أطفالهن باللون الأحمر الجميل، لأنهن ترين أن ذلك يجعلهم أجمل، ولا تذهب النسوة إلى المسجد لأداء الصلوات، وليست لدي فكرة عن كيفية قيامهن بذلك ولا في أي وقت.

وليس من النادر أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة، بل يوجد من يتزوج بثلاث أو أربع نساء، ويمكن للرجل أن يطلق زوجته إذا رغب في ذلك، وفي هذه الحالة عليها أن تبحث عن زوج آخر، إذا استطاعت، أما إذا لم تجد فعليها أن تعيش حياتها: وإذا لم تجد حلا، عليها أن تعمل بائعة هوى لدى الجنود الأتراك؛ حيث تصبح مجبرة على الخضوع لنزواتهم. ومن أجل عدم الوقوع في هذه الوضعية جرت العادة أن يقدم الزوج المهر للزوجة التي يتوجب عليها الاحتفاظ بنصفه لاستعماله في حالة ما تعرضت للطلاق على يد الزوج، ويمكن للزوج أن يتزوج من امرأة أخرى في الحال إذا رغب في ذلك، أو يستأجر امرأة شهريا كما يفعل الأتراك في مدينة الجزائر.

إذا عُثر على شخص مسيحي يتردد إلى امرأة مسلمة، فإنه سيحكم عليه بالموت، وإذا تحدث معها فقط يُضرب بالفلقة تحت قدميه، ويُكبل بالسلاسل الثقيلة. وإذا حملت امرأة مسلمة من رجل مسيحي، فإن مصيره يكون إما القتل خنقا، أو يُرمى في قنوات الصرف الصحي. وتوضع المرأة داخل كيس ويضعون معها حجارة وتُرمى في البحر بعيدا عن المدينة. وقد شهدت أثناء إقامتي بمدينة الجزائر قتل امرأتين بهذه الطريقة أمام الجزيرة القريبة من الميناء. ولكن على الرغم من هذا المصير بالنسبة للأسرى المسيحيين والنساء التركيات، فإن ذلك لم يمنع ارتكاب هذه المخالفات.

وعلى أية حال فإن الأتراك والأهالي على العموم يحقدون على المسيحيين ويبغضونهم، ويمكننا أن نلاحظ أنهم يُعلّمون أطفالهم تربيع الأيدي والبصق عندما يمر المسيحي بجنبهم، وذلك إشارة إلى المسيح المصلوب الذي نؤمن به نحن، لكنني لم أشاهد إطلاقا رجلا بالغا يفعل ذلك، بل هناك من يحترم المسيحيين، لأنهم في كل الأحوال ليسوا كلهم حاقدين، بل هناك من يقدر الديانة المسيحية ويحترمها.

ولكن يوجد من الأتراك والجزائريين من يرتكب سلوكات أكثر بهيمية، لا يمكنني الإفصاح عنها لكنني متأكد أن الله سيعاقبهم على أفعالهم، ولكن الأسوء أن بعض المسيحيين يرتكبون الأخطاء، ولكنهم يتخيلون لسبب أو لآخر أنهم غير مذنبين.

وعلى أية حال فالأمة عموما يمتاز سكانها بالصبر، فهم يتحملون الكثير من المكاره، وقد شاهدتهم على متن القارب نصف عراة تحت المطر الممزوج بالثلج في بعض الأحيان، وأكثر من ذلك فقد كان هناك من ينام في الشوارع ولا يحمل من الغطاء سوى رداءً رقيقا، أو معطفا قديما مع أن الجو يكون شديد البرودة. يتعلق الأمر هنا بالبؤساء أو أولئك الذين لم يجدوا لهم مأوى. وقد رأيتهم بنفسي كيف يدفئون بيوتهم بواسطة أنابيب من الطين، ويحرقون أذرعهم بحلقات عميقة دون أن يصدروا أي انزعاج. لكن كيف كانوا في حروبهم،

لا أدري الجواب لكنهم كانوا يخشون مواجهة الإسبان في البحر لأنهم كانوا يضطهدونهم. (موس، 2019، 103)

8. العبادة:

وفيما يتعلق بالعبادة فإن أغلب السكان يذهبون إلى المساجد[15] لأداء الصلوات خمس مرات في اليوم.أما بالنسبة للذين يعملون، أو يكونون مشغولين بارتباطات أخرى مهمة، فلا يمكنهم القيام بذلك دائما. حيث يقوم أحد السكان المغاربة بالمناداة من على مئذنة للمساجد عند منتصف النهار، ومنتصف الليل، وحين يصل وقت الصلاة. بالإضافة إلى المناداة على الصلاة مرتين أو ثلاث مرات أثناء الليل[16]. ويبدو أنه لا توجد اختلافات بين العقيدة التي يمارسها السكان المغاربة والأتراك، لكن طقوسهم ليست سواء. ويكونون أكثر جدية حين يمارسون العبادة، ولا يتهاونون في المحافظة على الصلوات: إنهم أحرار في أداء الصلوات حتى حين يكونون في العمل، ومهما كان نوع هذا العمل أو مدته. فكانوا إذن يقومون بالصلاة أثناء الصباح، وعند الغروب، وقبل الذهاب إلى العمل، ثم أثناء العمل. وبعد الظهيرة، بعد أن يتوضؤون ثم يعودون إلى كنائسهم التي يسمونها مساجد: وحين لا يتوفر المسجد في الضواحي فإنهم يبحثون عن مكان مرتفع أو أي مكان آخر يبعد عن الآخرين، ويقومون بالصلاة جاعلين وجوههم جهة الشرق. إنهم يفعلون ذلك لأن قبر إلههم محمد[17] يوجد في مكة بالبلاد العربية، شرق الجزائر. أو يفعلون ذلك لنفس الاعتبارات التي لا زالت تمارس عندنا، والتي تعود إلى الأسلاف، ولكني لا يمكنني الجزم في القول.

ولكي يقوموا بالصلاة فإنهم كانوا يقفون، قبل أن يجثموا على الركبتين، ثم ينحنون بحركات غريبة، حيث يضعون جِباههم على الأرض ثلاث مرات، ثم يُمُدون الأيدي، ثم يرفعون الأيدي الواحدة مقابل الأخرى، ويصلون بتحريك الأصبع.[18] وعندما ينتهون يستعملون السبحة، تماما كما يفعل الكاثوليك الرومانيون، ويُصَلُّون كذلك أمام وداخل المقابر حيث يدفن مرابطوهم، كانوا يصلون وهم واقفون برفع الأيدي والرؤوس ويداعبون لِحاهُم ويُلامسون ما وراء آذانهم. وبشكل عام فإنهم يطلبون من الله العون والسعادة، كلما قاموا بشيء ذي أهمية معينة، وعادة ما تتلى هذه الصلاة باللغة الإسبانية: ومعناها إلهي العظيم إذا أردت أن تعين أحدا، فلا أحد يمكنه أن يعارضك، وهكذا يقول الحراس الأتراك للمسيحيين عند مباشرتهم العمل. ويعتقدون أن هذا الإله هو نفسه الذي خلق العالم وكل ما يوجد فيه. وباعتباره القادر على كل شيء فإنه يحمي كل هذه الأشياء. وإلى جانب ذلك يُصلون على محمد، الذي هو نبي الله العظيم، ويسعون بأي ثمن

على الخضوع لوصاياه، ويعتقدون أن التركي لا يمكن أن يكون ملعونا. وخلاف ذلك لهم كتاب يدعونه القرآن وهو كتاب مقدس مثل الإنجيل بالنسبة لنا.

ويكرمون كثيرا والدة نبيهم التي تدعى زولاث[19]، ويخافون من الشيطان مثل أي شخص، كما أنه سيلحق بهم الأذى، وكانوا يحترمون كثيرا المسيح، ويقولون أنه كان نبيا عظيما، ومع ذلك قام اليهود باغتياله في القدس Jérusalem، ولهذا السبب يبغضهم الأتراك والمغاربة.كما كانوا يحترمون مريم، أم المسيح. ويعرفون ذكر الكثير من رسل العهد الجديد.

ويوجد في الجزائر علاوة على الأسرى، والمسيحيين الأحرار، القناصل الفرنسيون والإنجليز والبنادقة والهولنديون والسويديون إلخ. كان القنصل السويدي يرغب في تقديم يد المساعدة لنا نحن الدانماركيون في حالة يكون بإمكانه القيام بذلك. ومنذ عُقدت معاهدة السلام مع الدانمارك، أصبح هناك قنصل دانماركي كذلك. وعلاوة على ذلك يوجد الكثير من التجار الفرنسيين، المقيمين في مدينة الجزائر، بغرض القيام بالنشاط التجاري، ويشترون الكثير من البضائع الفرنسية المجلوبة، وكما أن هناك العديد من السفن الفرنسية، الإنجليزية، السويدية والهولندية الأخرى تجلب هذا النوع من البضائع، قبل أن تشحن سلعا أخرى، وهناك أيضا العديد من سفن الحبوب على الساحل، ولكن أساسا كان الفرنسيون القادمون من مرسيليا هم الذين يقومون بهذه التجارة. (موس، 2019، 104)

9. الأسرى:

توجد مجموعة كبيرة من الأسرى المسيحيين جاؤوا إلى مدينة الجزائر بإرادتهم، وهم يفوقون أولئك الذين تم أسرهم في البحر على يد القراصنة الجزائريين. وكان أغلبهم من الإسبان، لأنه منذ أربع سنوات قامت الحكومة الإسبانية بتحرير الأغلبية الذين تم أسرهم في البحر. وكان عددهم يتراوح بين 1600 و1800 أسيرا، أغلبهم من الإسبان. ولكن هناك بعض الأسرى الذين جاؤوا من دول أخرى. وكان الإسبان قد أحضروا معهم 25 صندوقا من النقود؛ ولا تزال هذه الصناديق على ظهر السفينة، كما حملوا معهم عددا كبيرا من الأتراك والمغاربة: وكان يتم تبديل مسيحي واحد بتركيين اثنين، ولا يقبل الداي باستبدال المسيحيين بالسكان المغاربة، لأنه كان يقول إن لدينا منهم الكثير في البلاد. ولذلك كانوا يحملون إلى إسبانيا، وهناك على الأقل لهم أقارب، أو أسياد طيبون كانوا يتدخلون لإطلاق سراحهم. فقد كان للإسبان في ميناء مدينة الجزائر إذن ثلاث سفن: عمارتان حربيتان وسفينة من نوع الفرقاطة. عندما غادروا الميناء اضطروا لترك المراسي، وكذلك الحبال، والذهاب إلى البحر، لأن الطقس كان سيئا للغاية. تراجع

الجزائريون وسُحبت كذلك المراسي والحبال. وعندما أرسل الإسبان بعد مدة فرقاطة للبحث عن تلك المراسي والحبال في الميناء، لم تعثر على شيء، وعندما قُدمت استفسارات، كان الجواب كما يلي: لم ير أحد أي شيء. إذا ترك الإسبان بعض الأشياء وراءهم، لم يكن الجزائريون على علم بذلك، وأُجبرت الفرقاطة على العودة إلى إسبانيا حاملة هذه الرسالة.

وعلى أية حال لم يبق في الوقت الحالي سوى نحو 20 أسيرا إسبانيا على الأكثر، ممن تم أسرهم في البحر. وذلك دون احتساب الطبرقيين والمجندين الذين يمكن اعتبارهم تابعين لإسبانيا، التي كانت تبسط نفوذها على خمس مدن في البلاد البربرية، لكنها لا تحتل أي بلد. وأقرب تلك المدن، التي تبعد عن مدينة الجزائر بـ 450 كلم، وهي تدعى وهران، وبما أن إسبانيا لم تكن تطبق حكم الإعدام في البلاد، ولذلك كانت تقوم بنفي المجرمين إلى وهران للقيام بالأشغال في التحصينات، وأماكن أخرى ضرورية، وكانوا يمضون سنوات طويلة فيها، ويمكن أن يمكثوا طول الحياة، وذلك مرتبط بنوع الجريمة التي ارتكبوها. (موس، 2019، 107)

وكانت حياة الأسر في وهران أكثر صعوبة، كما كانت مهمة الحراس صعبة كذلك، لأن حالات الفرار كانت تحدث دائما. حيث كان السكان المغاربة يعثرون على كثير منهم خارج مدينة وهران، كانوا يفرون لسبب أو لآخر، وكان أغلب هؤلاء الأسرى يتوجهون إلى مدينة الجزائر، ولما كان السكان يمسكون بهم كانوا يقتادونهم إلى باي معسكر، الذي يقوم بعد ذلك بإرسالهم إلى مدينة الجزائر. كان عددهم يتراوح بين 20 و30، وقد يصل العدد إلى مائة في الدفعة الواحدة، وكان الشخص الذي يقودهم إلى مدينة الجزائر يحصل على مكافأة معتبرة. ومن المحتمل أن يكون السبب الذي كان يدفعهم إلى الفرار، والتوجه إلى مدينة الجزائر، لاعتقادهم أنهم سيكونون أحسن حالا من بقائهم في وهران، كما أنهم في مدينة الجزائر يلتقون بأصدقائهم، مع إمكانية تحريرهم، لأنه لا يسمح بافتدائهم في وهران. وعلى العموم كان كل الأسرى يقولون أنهم جاؤوا إلى الجزائر من أجل ممارسة التجارة الموازية في مادة التبغ. ورغم أن كلا من القتلة الأكثر وحشية، وأسوأ اللصوص الذين قاموا بأعمال جد خطيرة، ومع ذلك فإنهم لا يريدون أن يعترفوا بذنوبهم للمسيحيين، ويجعلون اللوم على تأثير التبغ. ولم يكن الأتراك يهتمون بهم، وإذا لم يرتكبوا أية مخالفة، يدعونهم وشأنهم، وكانوا يطلقون عليهم اسم "غرنيرو Garnero" أي الخراف التي تهرع.

وقد تحول الكثير من الأسرى الإسبان عن دينهم في مدينة وهران، لكن في عهد الداي الحالي[20] القليل فقط من الأسرى من كان لهم الحق في ذلك: حيث كان يتوجب على الأسير أن يكون صاحب

صنعة معروفا، كي يسمح له باعتناق الدين الإسلامي، فلو سمحوا لجميع الأسرى اعتناق الدين المحمدي،لتخلى كل الأسرى بإرادتهم عن دينهم المسيحي في اعتقادي. وكانوا عندما يعتنق أحد الأسرى الدين الإسلامي، يقومون برفع راية على قصر الداي للإعلان عن ذلك. وكان الرجال الأحرار الذين كانوا يأتون إلى مدينة الجزائر فقط يسمح لهم بالدخول في الإسلام عن طواعية، ويصبحون جنودا، وإذا كانوا من الذين ليس لهم أية حرفة، فإنهم يُكلفون بحمل التروس، وكان فرنسي قدم على متن سفينة سنة 1771 آخر من اعتنق الإسلام. (موس، 2019، 108)

وقد وصل سنة 1771 من مدينة وهران، عدد يتراوح بين 20 و30 أسيرا إسبانيا، والذين لم يتم بيعهم كانوا يعملون في الميناء. وكان أصحاب الحرف يُلحقون بمجموعاتهم. وكان هناك شخص زعم أنه مدفعي جيد، وكان يتباهى بأنه ماهر في إطلاق القنابل. وبما أن الأسرى الآخرين أُعجبوا به أيضا، فإن الداي ورجال حكمه كذلك أعجبوا به، لأنه أصبح لديهم منذئذ، من يقوم بتدريب الجنود المتخصصين في قذف القنابل. إنهم يفكرون في مواجهة السفن الدانماركية في حال قدومها، وكانوا يدفعون له أموالا كبيرة. لقد أخبرهم هذا المدفعي أنه بإمكانه ضرب السفن الدانماركية حتى وإن كانت تحت الشراع، وإذا كانت قريبة من مدينة الجزائر كفاية، فإنه سيصيبها. فطلب منه رجال الحكم أن يجري بعض التجارب في الميدان الذي اعتادوا على إجراء التدريب فيه إطلاق القنابل، والمدافع والأسلحة الأخرى، فوضعوا له هدفا أمام باب الواد، فلما أطلق أصاب الهدف، فاندهش الجميع لمهارته، بعد ذلك قدّم له الداي ورجاله الأموال، وخلصوه من العبودية، فلم يعد يقيم في الحمام[21] مع الأسرى. وكان هناك القبطان الرئيس المشرف على شؤون الأسرى المسيحيين (يدعى الحارس أمباسو Ambasso، الذي كان متعكر المزاج، لكنه متواضع، وكان يحب تقديم المساعدة للمسيحيين، لأنه كان سابقا أسيرا في مدينة غاليس (Galice) في إسبانيا لمدة أربع عشرة سنة) فقد آوى هذا الرجل رامي القنابل السابق الذكر في منزله، وكان كل الرجال من ذوي الرتب العالية يعاملونه معاملة طيبة، وكانوا يعملون على إقناعه على تبديل دينه، حيث يصبح حينها رئيس البوبماجيين[22] في الجزائر، ووعده الداي شخصيا في حالة تحوله عن دينه، بأن يعطيه منزلا وملابس، ويخصص له راتبا منتظما، وعلاوة على ذلك وعده بأن يأمر البايات الثلاثة بأن يمنحوه علاوة، وكذا يخصصون له جزءا من الضرائب عند قدومهم إلى مدينة الجزائر كل ثلاث سنوات؛[23] وقد أسالت لعابه هذه الوعود، والضمان والدعم الذي قدمه له الحارس "أمباسو" السابق الذكر، ولما قرر اعتناق الدين الإسلامي كان عليه أن يُختتن، فقدم أمام أحد

حراس الترك الذي يدعى "قاساري"، الذي قام بختانه، حيث لازم الفراش مدة 12 أو 14 يوما، وكان الداي ووزراؤه متحمسين جدا، بحيث عرضوا عليه الأموال، والغرف الجميلة والملابس وغيرها.

وقد كان الأتراك يحقدون عليه نتيجة لذلك الاهتمام الذي كان يحظى به، ولكنهم لا يجرؤون على الإساءة إليه أمام الداي ووزرائه. وكانوا يقولون أنهم لا يرغبون في تلقي الأوامر من مهتدٍ، ولا يريدونه سيدهم لمجرد أنه ماهر في إطلاق القنابل والمدافع. ومن المحتمل أنهم لم يقبلوا رؤيتهم له يرتقي في السلم الاجتماعي بهذه السرعة. ذلك لأن البومباجيين والطوبجيين[24] في مدينة الجزائر لا يحسنون القيام بعملهم، ولما كان هو يتقن هذا العمل، لم يكن يعيرهم أي احترام، فأصبحوا حاقدين عليه، وكانوا لا يفوتون أية مناسبة للإنقاص من قدره أمام الداي. لقد كان يطلق القنابل أحيانا، وكان يصيب هدفه، لكن بعد ذلك يبدو أنه بدأ يفقد بعض المهارة فأصبحوا يعاملونه ببرودة. (موس، 2019، 109)

ذات مرة آوى في بيته امرأة كان قد أجَّرها تركي، وهو أحد الأشخاص المهمين، لا يعلم أين ذهبت، وحين علم أنها تتواجد عند هذا المهتد اتجه برفقة تركي آخر إلى بيته، يطالبه بتسليمها له، وقال له كيف يمكنك إيواء امرأة مجهولة بدون طلب الإذن بذلك، وبدون أن يجيب على سؤاله سارع للدفاع عنها باستخدام سيفه ومسدساته، مما جعل هذين التركيين يشعران بالإهانة، واشتكى إلى الداي عما فعله معهما، فغضب منه الداي خاصة وأن الكلام عنه كثر، وشعر بالكراهية اتجاهه، لأنه كان يبسط حمايته عليه، فأمر بإحضاره وتلقى الضرب بالفلقة، ثم انتزعت منه ملابسه الثمينة، وانتزعت منه المرأة. وبدأ يفقد تلك المكانة المريحة التي كان يتمتع بها، بسبب إخفاقه في رمي القنابل، ولأسباب أخرى. وشعر حينها بالندامة لأنه تخلى عن دينه، وأصبح أصدقاؤه يتحاشونه، على الرغم من الوعود الجيدة التي وعدهم بها، حينئذ فكر في الابتعاد عنهم، فاقترض مالا كثيرا، وقام ببيع ملابسه الثمينة، وزعم أنه سيقوم بجولة في الريف، بيد أنه كان يفكر في تحرير نفسه من خلال الهروب، لكن الأهالي تمكنوا من الإمساك به في الطريق واقتادوه إلى باي معسكر، الذي تلقى الأمر من الداي بقتله. وهكذا كانت نهاية حياة من يتخلى عن دينه ويعتنق دينا آخر، هذه هي نهاية حياة أحد الذين غيروا دينهم، ألا يمكن أن يقال أنه عوقب من قبل الله، ولأنه آثر العرض والمال قبل الله، والدين والعقيدة؟

وباستثناء الأسرى الذين لجأوا إلى مدينة الجزائر طواعية، يوجد كثير من الأسرى من مختلف الجنسيات تم أسرهم على يد القراصنة الجزائريين في البحر. ومنذ وقت قصير قام الجزائريون بأسر 180 شخصا، كانوا قد جُنِّدوا في جنوة. حيث كان الإسبان يجلبون الجنود من جنوة، وكان يتم نقلهم إلى إسبانيا، حين تكتمل

المجموعة، على متن سفينة فرنسية أو إنجليزية. وكان هؤلاء الأسرى قد ركبوا على متن سفينة إنجليزية، لنقلهم في أمان إلى برشلونة في حالة واجهوا القراصنة الأتراك، ولكن جواز السفر الإنجليزي الذي قدموه، لم يَقبله هؤلاء القراصنة، واقتادوا ركاب السفينة بما فيهم طاقمها كغنيمة، وتم إخلاء سبيل القبطان ومساعده، وتمكنا من استعادة كل ما سلب منهما. لأن الإنجليز كانوا يتمتعون بالحرية، وبإمكانهم استعمال أي راية، وهو ما لم يتوفر لشعب آخر.

سرعان ما وصل هؤلاء الإسبان إلى تسوية "لو ليموزا le Lemosa" أو الحل الإسباني، متمنين الإفراج عن المجندين، وأزالوا سلاسلهم واقتادوهم إلى القصر قبل أن يغير الداي ووزراؤه رأييهم، بالسماح لهم بالرحيل ليس بنفس السعر الذي دفعوه، فكان عليهم العودة إلى السفن، وما زالوا عبيدًا يقضون بعض الوقت في ظروف سيئة، وبعد وقت قليل، أعطى ملك إسبانيا لهم ما يكفي للباسهم وطعامهم. (موس، 2019، 110)

10. الأعياد:

وفيما يتعلق بالأعياد فإن سكان هذه البلاد لهم يوم الأحد والجمعة يوما عيد، ويقومون بالأعمال والتجارة، ولكنهم لا يغفلون الذهاب إلى المساجد[25] لأداء الصلوات.

وعلاوة على ذلك فإن لديهم عيدين يحتفلون بهما، الأول كان يستغرق ثلاثة أيام، وكان يأتي بعد ثلاثين يوما من الصيام، ويسمونه شهر رمضان، حيث كانوا يمتنعون عن تناول الطعام والشراب طوال اليوم، ويأكلون ويشربون حين يحل الظلام. والعيد الثاني يدوم كذلك ثلاثة أيام[26]. وأثناء هذين العيدين يسمح للأسرى مغادرة مدينة الجزائر إن شاءوا، وأخص بالذكر الأسرى التابعين للداي ولكبار رجال الحكم، الذين سمعت أنهم كانوا يحصلون على الهدايا خلال هذين العيدين، وأما الأسرى المقيمين في السجون فلم يكن لهم الحق في مغادرة المدينة. وفي أيام هذا العيد يحظى العبيد بالمعاملة الحسنة، ويكونون سعداء، ويلقي عليهم الناس التحية في شوارع المدينة، ويحسنون سلوكهم معهم.

وجرت العادة في مدينة الجزائر أنهم كانوا يرفعون علما مصنوعا من الحرير الأحمر، أو الأخضر على قصر الداي خلال موسم الأعياد، وكذلك أيام الجمعة. ويكون هذا العلم مزخرفا بأشكال ذهبية أو فضية، وهذه الأشكال تشمل الشمس والقمر والنجوم، وكذلك الأيادي. لأن الأتراك كانوا يضعون شكل اليد، أو الهلال على راياتهم. وكانوا يزينون سفنهم كذلك بالأعلام أثناء الاحتفالات بالأعياد، وكان لديهم في الجزائر أعلام كل الأمم، ولهم أعلام خاصة يدعونها أعلام المرابطين يرفعونها أيام الأعياد والجمعة على أضرحة

المرابطين، وهي ذات اللون الأبيض تملأ الفضاء الخارجي المحيط بمدينة الجزائر، كما يمكن مشاهدة الأعلام على أضرحة الملوك وكبار رجال الحكم. (موس، 2019، 114)

11. المرابطون:

المرابطون في هذه البلاد هم رجال الدين المقدسون، يعتقد الأتراك أنهم سحرة يمارسون السحر بالاستعانة بالشياطين، أو قوى غيبية أخرى، وكان كبير هؤلاء المرابطين[27] يشغل منصب إمام الداي، وهو يحظى باحترام كبير وتقديس من طرف الأتراك، ولد هذا الإمام بهمبورغ، حيث جيء به كأسير، وهو لا يزال صغيرا، ثم تم تلقينه تعاليم الدين الإسلامي حتى أصبح من أكبر المرابطين في مدينة الجزائر، وهو الآن متقدم في السن. ويحتفل الأتراك كذلك بيوم معلوم في السنة يقومون فيه بحساب ثروتهم، وتقديم نصيب منها للفقراء[28]. وبالإضافة إلى هذا اليوم، يحتفل الجزائريون بيوم الجمعة ويوم رأس السنة[29] الهجرية، فهم لا يعملون فيهما، أما بالنسبة لنا فكنا نتمتع بالحرية في عيد رأس السنة، وكنا نعمل يوم الجمعة لا سيما عند قدوم السفن الثلاثة المحملة بالأحجار من رأس ماتيفو (تمنفوست)، التي تهدمت بفعل الزلزال، أين كنا نقوم بإنزال الحجارة بغرض استعمالها في تشييد القلاع. وبالحديث عن الزلازل هنا في هذه البلاد فإنها ليست نادرة الحدوث، وتخلف أضرارا بالغة، وتتواجد هذه المدينة القديمة (ماتيفو) على بعد حوالي 20 كلم شرق مدينة الجزائر، حيث يشتغل بها مابين مائة ومائتين (100 و200) أسيرا يقومون بأعمال الحفر لاستخراج الحجارة من تحت الأرض، ونقلها إلى مدينة الجزائر.

ويقال إن بناء هذه المدينة يعود إلى سنوات قليلة بعد ميلاد المسيح، وقد تم العثور على قطع من الذهب والنحاس، دفنت تحت الأرض في توابيت من الطين، كما تم العثور على تماثيل، وأعمدة ذات أشكال مختلفة. وفي سنة 1772 تم العثور على حجارتين تحتويان على كتابات ذات حروف كبيرة، قام بعض الرهبان الإسبان فيما بعد بترجمتها إلى لغتهم. لا تختلف هذه الحروف كثيرا عن حروف اللغة اللاتينية، وعُثر كذلك على حجارة مكتوب عليها كريستو سالفاتور "hristo Salvator"، الأمر الذي يوحي بأن المدينة كانت من قبل عامرة بالسكان المسيحيين. وعندما كان يقوم السكان الجزائريون بنقل هذه الحجارة وحدهم الأسرى باستثناء الحرفيين من يقوم بإنزالها من السفن، وحملها مجددا في كل أيام الأسبوع، بما فيها أيام الجمعة، غير أنه في يوم الجمعة يكون العمل أسهل من باقي الأيام. وفي مدينة الجزائر يتم تجميع الحجارة، وترتيبها، لكي تستعمل في بناء التحصينات والقلاع والبنايات الأخرى، وكان المسيحيون هم من يقوم بالأشغال، ويستخرجون كذلك الحجارة المخصصة للبناء من الجبال المجاورة لمدينة الجزائر، حيث يقع

منحدر يسمى بوانت بيسكادور[30] Pointe de Piscador، أين نقوم بقلع الحجارة الضخمة، ثم إنزالها باستعمال حبال خشنة خصصت لذلك، فنقوم نحن الأسرى بنقل الحجارة على متن الزلاجات ونجرها عبر جسر أعد لذلك، حيث تكون سفينة مسطحة كبيرة في انتظار شحنها ثم تنسحب. ولا يمكننا القيام بهذا العمل سوى في فصل الصيف، لأن البحر يصبح هائجا في الفصول الأخرى، مما يجعل العمل بالقرب منه أمرا مستحيلا. بعد ذلك يتم نقل هذه الحجارة إلى الميناء، حيث توضع حول القلاع، كما توضع كجدران تتحطم عليها الأمواج في الأماكن التي تكون فيها الأسوار غير محمية. خاصة حينما تهب الرياح الشمالية، فتكون الأمواج قوية.

وعلاوة على تلك الأشغال كان على الأسرى المسيحيون الاشتغال ثلاث جمعات خلال السنة، في جمع جذوع الأشجار خارج المدينة، وذات يوم اغتنم حوالي 20 من الأسرى فرصة تواجدهم بالغابة للفرار، لكن السكان تمكنوا من اللحاق بهم، وتم اقتيادهم إلى مدينة الجزائر، حيث عوقبوا بقساوة، ووضعت السلاسل الغليظة في أقدامهم، وسِيقوا إلى العمل وهم مكبلون بتلك السلاسل. لقد كان هؤلاء البؤساء يريدون اللجوء إلى منطقة القبائل المعروفة بتمردها وعصيانها للسلطة، هذه القبائل سكانها ذوي لون أسمر وأسود، ترفض الخضوع لحكومة الجزائر، وهي دوما في حالة حرب مع هذه الحكومة. وكان باي التيطري الذي كان يقيم بالقرب من هذه القبائل،[31] في حصن قامت الحكومة بتشييده، يستقبل فيه الجيش الذي كانت ترسله الحكومة إلى المنطقة لمراقبة هذه القبائل. كان هذا الجيش كذلك يقيم داخل هذا الحصن (في حالة لا يكون في حملة خارج المدينة، تحت الخيام في الحقول، يراقب المتمردين) وكانت هذه القبائل من النادر أن تلحق الأضرار بالسلطة، ولم تكن تدين بالخضوع إلا لمرابط تطيعه، وتأتمر بأوامره. وقيل لنا أن الداي بعث برسالة سنة 1771 إلى مرابط هذه المنطقة يعرض فيها منحه الأمان للقبائل المتمردة، مقابل إرسال المقاتلين لمساعدته في حال تعرض البلاد إلى غزو خارجي، لأنه قيل أن الدانمارك ستعود في فصل الصيف للإنزال في مدينة الجزائر، لأن الاتصالات معها لم تؤد إلى توقيع أية معاهدة صلح بين البلدين.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سكان هذه القبائل المتمردة، إذا ألقوا القبض على شخص قَدِم من مدينة الجزائر يضربونه حتى يفقد أسنانه، ثم يواصلون ضربه. والأتراك بدورهم، إذا ألقوا القبض على أحد الرجال المتمردين كذلك، يقتادونه إلى مدينة الجزائر، وفي صباح الغد يخرجونه من سجن قصر الداي، ويقتادونه إلى مكان لا يبعد عن باب القصر المذكور، حيث يكون سياف تركي في الانتظار ليقطع رأسه على الفور، وكانت العادة أن تترك الرأس معلقة، أو الجثة أمام قصر الداي لمدة يومين أو ثلاثة أيام، حتى تكون عبرة لمن

تسول له نفسه من الأهالي الثورة، أو التمرد على الحكومة. وجرت العادة أن يحصل على مكافأة مالية من طرف الداي كل من يحمل رأس متمرد أو ثائر. (موس، 2019، 115)

12. حراس الداي الشخصيون:

والداي الذي يحكم في الوقت الحالي لا يغادر قصره كثيرا، مخافة أن يتعرض للإصابة، أو للاغتيال على يد أحد الأتراك الناقمين عليه، لأنه لم يكن مرغوبا فيه، وكان لا يخرج وحده إلا لأداء الصلاة في المسجد المقابل للقصر، تحت رقابة عيون حراسه الخاصين، وكان يتبعه باقي رجال الديوان الأساسيين إلى المسجد. وهؤلاء الحراس يمتازون بالبنية القوية والقساوة، كنا نخشى النظر إليهم، لأنهم قد يقبضون على أي شخص دون أن يرتكب أية مخالفة، ويزجون به في السجن، في انتظار إنزال العقوبة به في أي وقت. وكان الداي [32] السابق لا يخرج من قصره إلا ممتطيا حصانه، وإن خرج ماشيا فإنه كان مسلحا بمسدسات، وسيوف، وخناجر يحتفظ بهم في حزامه، وكان مستعدا للدفاع عن نفسه، والتصدي لأي هجوم مباغت، وعلى العموم كان الأتراك يرهبونه، أما الداي الحالي فلا يجرؤ على الخروج من قصره إلا إلى المسجد للصلاة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وأثناء إقامتي في مدينة الجزائر حاول الكثير من الأسرى المسيحيين الفرار من الأسر عن طريق البر، كما عن طريق البحر، لكن للأسف كان يلقى عليهم القبض، وبعض ممن تمكنوا من الفرار عن طريق البر، كانوا يلجؤون إلى المناطق المتمردة، وغير أن هؤلاء السكان كانوا لا يرغبون في بقائهم بينهم، لا سيما إذا عَلِموا أنهم لن يمكثوا معهم إلى الأبد، فكانوا يجبرونهم على المغادرة، وكان الأهالي يلقون القبض عليهم، حين يعلمون أنهم فارين من مدينة الجزائر، فيقتادونهم إلى هذه المدينة مجددا. والكثير من الأسرى ممن تمكنوا من التسلل خارج المدينة، والاختباء لمدة طويلة، تم إنقاذهم على يد مسيحيين آخرين أمثالهم، كان البعض من الأسرى يتمكن من الفرار إلى وهران عن طريق الساحل، ومنهم من تمكن من الفرار عن طريق البحر على متن زوارق صنعوها لذات الغرض، ولكنهم في النهاية كان يتم القبض عليهم على يد السكان الذين كانوا يعيدونهم إلى الداي مع سفينتهم، فكان ينزل بهم عقابا قاسيا.

وعلى أية حال كانت محاولات فرار الأسرى المسيحيين كثيرة وبمختلف الوسائل، لكن كانت كلها تقريبا تبوء بالفشل.

وأثناء إقامتي في مدينة الجزائر كأسير، شاهدت كيف قطعوا أذني أسير إسباني لأنه كان أكبر لص في المدينة، وبسبب أنه سرق يهوديا تركوه يعيش، ونزعوا منه فقط أذنيه، وضربوه على مؤخرته بالفَلقَة، ورغم أنه

كان يتمكن من الفرار، لكنه كلما سرق كان يتم القبض عليه، كان ينال نفس العقاب، حتى كنا نعتقد أنه لن ينجو من الهلاك، وكان هناك الكثير من أمثاله، حاولوا مرارا الفرار، لكنهم كانوا في النهاية يلقى عليهم القبض. لقد كانت فرص الفرار ضئيلة جدا، بل مستحيلة خاصة عن طريق البحر، وحتى وإن تمكن أحد الأسرى من الفرار عن طريق البر، فإن السكان كانوا يلقون عليه القبض، ويعيدونه إلى المدينة، لأن سلطة الأتراك شرَّعت قانونا صارما، يتمثل في المعاقبة حتى الموت، كل من يخفي أو يساعد أسيرا مسيحيا على الفرار. (موس، 2019، 117)

كان يتوجب علي الإشارة إلى أنه في مدينة الجزائر ينتعلون الأحذية الطويلة المصنوعة من الجلد الأحمر المغربي، وهي جد مختلفة عن أحذيتنا، لأنها محاكة بخيوط ذهبية. وينتعلون هنا كذلك الخفين، وأحذية بدون أحزمة، لأن أسفلها مصنوع من الجلد كذلك، وكانت هذه الأحذية خشنة، ويضعون عند الحافر قطعة من الحديد يثبتونها أسفل الحذاء حتى لا يتآكل، وكان الحراس يلبسون أحذية طويلة تشبه تلك التي نلبسها في أوروبا، ولكنها على العموم تحمل قماش الأفرشة من الداخل أو نوعا آخر من الأقمشة.

وقبل أن أختم أود أن أشير إلى أنه يوجد اختلاف كبير بين كلمتي البايلك،[33] والباي، فالدانماركيون يستعملون كلمة باي للدلالة على حاكم المقاطعة أو الأمير، أما البايليك فتعني الحاكم أو الملك. لأنه لا يمكن القول أن باي الجزائر لديه ثلاثة بايات، وعدد كبير من الخلفاء تحت سلطته، وهو لا يعدو أن يكون بايا فقط. لقد وجدت أنه من الضروري توضيح هذه المسألة في الأعلى قبل أن أختم هذه القصة؛ التي ستكون طويلة على القراء إذا ذكرت فيها كل التفاصيل، على الرغم من أنها ستعجب البعض وسيمضون وقتا ممتعا في قراءتها. (موس، 2019، 118)

13. خاتمة:

بنشرنا لهذا الجزء نكون قد انتهينا من نشر المذكرات كلها، والتي لا شك في أنها تعتبر وثيقة مصدرية قيمة ومهمة ستفيد القراء والباحثين. وتكمن أهمية هذه المذكرات في أنها تعتبر أول ترجمة لكتاب نرويجي يتناول فترة مهمة من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، ولعل نشر مثل هذه الأعمال تكون حافزا للباحثين والأساتذة في الإقبال على عملية ترجمة المصادر والمراجع التاريخية الكثيرة من اللغات الأجنبية إلى لغة الضاد، بغية تمكين قراء هذه اللغة من الاطلاع عليها والاستفادة منها.

13. قائمة المراجع:

1- كانت هناك عدة طرق لافتداء الأسرى، حيث تأسست جمعيات دينية في أوروبا، كان يرأسها رجال الدين المسيحيين، فيقومون بجمع التبرعات من مختلف الأقطار والأقاليم في أوروبا، ثم يسافرون إلى الجزائر للتفاوض على سعر الفدية مع الحكومة، أو مع الملاك الخواص، وعندما يتم الاتفاق يتم دفع الأموال ويتم حينها إطلاق سراح الأسير، وكانت الحكومات تفتدي رجالها، كما كان يتم تبادل الأسرى إذا كان الأسرى الجزائريين من الشخصيات المهمة، علاوة على ذلك هناك الفداء الذاتي، حيث يقوم الأسير بجمع مبلغ من المال ويفدي نفسه؛ لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع أنظر:

– مذكرات الأسير البرتغالي "جواو كارفالو ماسكاريناس" في مدينة الجزائر (1621–1627)، ترجمة وتعليق الدكتور لخضر بوطبة (2022)، دار كوكب العلوم، الجزائر.

– وكان موضوع افتداء الأسرى قد حظي باهتمام الكتاب والمؤرخين الذين تناولوه بالدراسة والتدوين، ومن أشهر الذين كتبوا عنه خلال القرن السادس عشر نذكر الأب الراهب الإسباني والمؤرخ فراي ديغو هايدو في كتابه الموسوم:

- Fray Diego de Haëdo (1911), De la captivité à Alger, traduit de l'espagnole par Moliner-Violle, Alger.

– ويعد الأب الفرنسي بيار دان من أشهر الكتاب الذين كتبوا عن الأسر خلال القرن السابع عشر في كتابه الموسوم:

- Dan François Trinitaire, (le père) (1649), Histoire de Barbarie et de ces Corsaires, 2ème édidion, Paris.

2- وصف البعض الجزائر خلال العهد العثماني بأنها كانت جمهورية عسكرية، يعين رئيسها بالانتخاب، وذكر آخرون بأنها كانت مملكة، ولكنها في الحقيقة لم تكن لا هذه ولا تلك، بل كانت تحكم بنظام من نوع فريد، لم يعرف في أي بلد آخر، ومن أهم ما يميزه أنه كان يجمع بين الصبغة المدنية والعسكرية، حيث كان حكما جماعيا شوريا في القمة، وفرديا مطلقا في القاعدة التي كان يمثلها البايات في أقاليمهم، حيث كانوا يحكمون بإرادتهم. أنظر، محمد العربي الزبيري، 1984، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، (1792– 1830م)، ط2، م وك، الجزائر.

3- قيل قتل ستة حكام، لكن حدث هذا في مرحلة حكم الأغوات التي لم تدم سوى بضع سنوات (من سنة 1659 إلى سنة 1671)، وقد عرفت هذه المرحلة بكثرة الاضطرابات والفتن، وعدم الاستقرار، فاستبدلت بنظام الدايات الذي استمر حتى نهاية الحكم العثماني سنة 1830. (المترجم).

4- كنان جنود الانكشاريين يتم تجنيدهم من الأناضول لفترة طويلة من الحكم العثماني في الجزائر، وكان يتم انتقاؤهم بعناية، حيث كانت تراعى في انتقائهم حسن السيرة والانضباط، لكن في أواخر الحكم العثماني كما أورد حمدان خوجة، لم يعد انتقاؤهم قائما على الشروط ذاتها، وهذا ما ساهم في انهيار المنظومة العثمانية في الجزائر، حيث تحول الانكشاريون إلى أداة لجمع الثروة، والتنافس على المكاسب والمناصب السياسية، وكانت الحالة نفسها في الباب العالي، حيث كان لفساد الجيش الانكشاري من بين الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة العثمانية.

5- يقصد حصن البينون أو حصن الصخرة الذي شيده الإسبان في حوالي سنة 1510، على احدى الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، (والتي أخذت المدينة اسمها منها)، وجعلوا به حامية تراقب تحركات سكان المدينة الجزائر عن كثب، وتقوم بتفتيش السفن الداخلة والخارجة منها، فكان هذا الحصن كالشوكة في حلق السكان، كما فرض عليهم الإسبان دفع الجزية، ومن أجل التخلص من هذه الحامية، ومن الجزية استنجدوا بالإخوة بربروس الذين خلصوهم من هذا الحصن اللعين.

6- نسجل هنا هشاشة معلومات الكاتب الذي يبدو أن الأمر قد اختلط عليه، والصحيح أن هذه الجزيرة كانت تحت سيطرة الإسبان الذين بنوا عليها الحصن المعروف بالبينون (le Pégnon) وذلك بعد تمكنهم من احتلال بجاية سنة 1510 ومدن ساحلية أخرى، ثم تمكن خير الدين بربروس من تحطيم هذا الحصن سنة 1529 وربط الجزيرة بالمدينة عن طريق المول. لمزيد من التفاصيل حول الموضوع أنظر:

– فراي ديغو هايدو، 2023، تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريريج، الجزائر.

– أحمد توفيق المدني (1986)، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766–1791)، م، و، ك، الجزائر.

7- هو السلطان سليم الأول (1512–1520)، الذي شهدت الدولة العثمانية في عهده أوج قوتها وفتوحاتها. (المترجم)

8- كانت الضريبة المفروضة على بايات تونس، تتمثل في دفع كميات من زيت الزيتون لحكومة الجزائر سنويا. (المترجم)

9- يدو أن معلومات الأسير هنا غير دقيقة حيث تجمع المصادر أن البايات الثلاث (باي الشرق وباي التيطري وباي الغرب) كانوا يقدمون الضرائب التي كانوا يجمعونها من الأقاليم التابعة لحكمهم مرتين في السنة، مرة في فصل الربيع، والثانية في فصل الخريف، وتكون الأموال مصحوبة بالهدايا. (المترجم)

10- كانت مدينة مازونة هي مقر حكم البايات في بايلك الغرب، ثم نقل المقر إلى معسكر، ثم بعد تحرير وهران النهائي من الاحتلال الإسباني سنة 1792م، تم نقل المقر إليها بصفة نهائية. (المترجم)

11- يقصد قبيلة بني عامر وغيرها من القبائل التي كانت تتعامل مع الحامية الإسبانية في وهران. (المترجم)

12- كان السكان يقومون بتقطيع الغابات وإرسالها إلى مدينة الجزائر حيث توجد دار صناعة السفن، وكان شيوخ القبائل هم من يقوم بتنظيم هذه العملية بمساعدة وتنسيق موظف تركي مختص، ومن بين الغابات التي كانت تستغل لهذا الغرض نذكر غابات منطقتي بجاية وجيجل والبابور، حيث أسست السلطة نظام الكراست لتنظيم العملية، فكانت فرصة للسكان هذه المناطق للاستفادة من مداخيل هذا النظام، حيث كانت الدولة تدفع مقبل هذه الأخشاب. (المترجم)

13- تناول الرحالة الأنجليزي طوماس شو الذي زار الجزائر ومكث فيها في الفترة الممتدة من سنة 1720 إلى سنة 1732 في كتابه الحياة البرية في الجزائر خلال العهد العثماني، من ثروة حيوانية وغابية ونباتية. للاطلاع أكثر على الموضوع أنظر:

- طوماس شو (2022)، رحلة إلى إيالة الجزائر، ترجمة وتقديم الدكتور لخضر بوطبة، دار الباحث للنشر والتوزيع، برج بوعريريج، الجزائر،

14- البابوش أو البابوج، هو لفظ فارسي، وهو حذاء مصنوع من الحرير، ومزركش بالذهب والألماس تتزين به النسوة. (المترجم)

15- يطلق الكاتب على المساجد اسم الكنائس (المترجِم)

16- يبدو الكاتب هنا غير متأكد من مواقيت الصلاة، فالصلاة التي أشار إليها بمنتصف الليل ربما هي صلاة الفجر. (المترجم)

17- يقصد نبيهم محمد. (المترجِم)

18- يقصد السجود والتحية. (المترجِم)

19- يقصد أمنة ولعله يقصد ابنة النبي صلى الله عليه وسلم الزهراء. (المترجِم)

20- هو الداي محمد عثمان باشا (1766-1791). (المترجم)

21- يقصد السجن. (المترجم)

22- بومباجيين جمع بومباجي هي كلمة كانت مستعملة خلال العهد العثماني وتطلق على الجندي المكلف برمي القنابل. (المترجِم)

23 - كان البايات الثلاثة ملزمين بأداء ما يعرف بواجب الدنوش، دنوش (Dünüs) هي كلمة تركية تعني العودة، وهو مصطلح كان متداولا لدى الأتراك في حكمهم للإيالة، ذلك أن البايات كانوا يعودون للوقوف أمام الباشا بمدينة الجزائر كل ثلاث سنوات، حاملين الهدايا والأموال المستخلصة من أقاليم حكمهم، وكان الباشا إما

يعيد تثبيت الباي في منصبه أو يعزله، وقد يأمر بقتله إن صدر منه ما يستحق القتل، وذلك استنادا إلى التقارير التي كانت تصل إلى الباشا عن البايات بصفة مستمرة، وهذا الأسلوب في الحكم كان له الدور الفعال في منع البايات في التفكير في الانفصال عن الحكم المركزي. أنظر:

– خليفة حماش (1988)، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من سنة 1798م إلى 1830م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الإسكندرية، ص 87–88. (المترجم).

24– الطوباجيين مفردها طوباجي وهو الجندي المدفعي. (المترجِم)

25– في الأصل الكنائس. (المترجِم).

26– يقصد به طبعا عيد الأضحى الذي كان يحتفل به المسلمون بذبح الخراف في اليوم الأول. (المترجم)

27– يقصد الإمام. (المترجم)

28– لعله يقصد الاحتفال بيوم عاشوراء بهذا اليوم الذي اعتاد السكان فيه على إخراج زكاة أموالهم، ولا زال هذا التقليد ساريا إلى يومنا هذا. (المترجِم)

29– يقصد رأس السنة الهجرية. (المترجم)

30– قمة "بيسكاد La Pointe Piscade" كانت تسمى مرسى الدبان، وحاليا تسمى بلدية الرايس حميدو في الجزائر العاصمة. (المترجِم)

31– كان البايات يقيمون في مدينة المدية، حيث وقع اختيار الحكام الأتراك لهذه المدينة بذكاء وحكمة نظرا لموقعها الاستراتيجي وهي تبعد عن مدينة الجزائر حيث مقر الحكم المركزي بحوالي 80 كلم. (المترجِم)

32– هو الداي علي باشا نقسيس المدعو بوصباع (1754–1766). (المترجم)

33– المصطلح الصحيح هو الداي. (المترجم)

الملاحق:

ملحق رقم (01): مدينة الجزائر خلال العهد العثماني